أوراق البدائل

التحول الديمقراطي وصناعة التوافق
تجارب وتوصيات للحالة المصرية

صناعة التوافق بين التيارات السياسية
[رؤى وآليات]

كريم قاسم

باحث علوم سياسية وتنمية

منتدى البدائل العربي للدراسات (A.F.A)

العنوان: شقة ٤. الطابق الرابع. ٥ شارع المساحة. الدقي. القاهرة (ج.م.ع)

Website: www.afaegypt.org
Mail: info@afaegypt.org
Telefax: +202-37629937
Twitter: AFAlternatives
Facebook : https://www.facebook.com/AFAlternatives

التحول الديمقراطي وصناعة التوافق
تجارب وتوصيات للحالة المصرية

صناعة التوافق بين التيارات السياسية
[رؤى وآليات]

كريم قاسم

باحث علوم سياسية وتنمية

منتدى البدائل العربي للدراسات (AFA): مؤسسة بحثية تأسست عام ٢٠٠٨ وتسعى لتكريس قيم التفكير العلمي في المجتمعات العربية، وتعمل على معالجة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إطار التقاليد والقواعد العلمية بربط البعدين الأكاديمي والميداني.

ويعمل المنتدى على توفير مساحة لتفاعل الخبراء والنشطاء والباحثين المهتمين بقضايا الإصلاح في المنطقة العربية، تحكمها القواعد العلمية واحترام التنوع، كما يحرص على تقديم البدائل السياسة والاجتماعية الممكنة، وليس فقط المأمولة لصانع القرار وللنخب السياسية المختلفة ومنظمات المجتمع المدني، في إطار احترام قيم العدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان.

ومن أجل ذلك يسعى المنتدى لتنمية آليات للتفاعل مع المؤسسات المحلية والإقليمية والدولية المهتمة بمجالات التغيير والإصلاح. ويرتكز المنتدى في عمله في هذه المرحلة على ثلاثة محاور: تحليل السياسات والمؤسسات العامة، المراحل الانتقالية والتحول الديمقراطي، الحركات الاجتماعية والمجتمع المدني.

ويتخذ المنتدى لتنفيذ تلك الآليات والأهداف شكلا قانونيا متمثل في شركة ذات مسئولية محدودة (س. ت ٣٠٧٤٣)

هذه الأوراق تصدر بصفة غير دورية

وهي نتاج سيمنار داخلي ولا تعبر بالضرورة عن رأي منتدى البدائل العربي للدراسات

قائمة محتويات

مقدمة ٣

التوافق ٣

التوافق في حالة دول شرق أوروبا ـ نبذه من المجر وبولندا ٤

الحالة المصرية (توصيف مختصر): ٦

مقاربة بين الدول الثلاثة: المجر ـ بولندا ـ مصر ٧

توصيات: ٨

نشر وتوزيع

رقم الإيداع: ١٨٦١٨ / ٢٠١٢

+2 01222235071

rwafead@gmail.com

www.rwafead.com

مقدمة

تظل سياسة التوافق من أهم الوسائل في صناعة أنظمة ديمقراطية حرة وممثلة سليمة، فلا يوجد نظام حكم سوي يعبر عن الشعب إلا واتخذ إجراءات توافقية مبدئية تؤسس لهذا النظام الديمقراطي وتقّرب من الفجوة المعتادة بين من يحكم ومن يُحكم وبين القوى السياسية والمجتمعية المختلفة.

وما أحوجنا بالتأكيد إلى ممارسة صناعة التوافق في مصر في ظل الثورات العربية والثورة المصرية تحديدا لأن الانتقال من نظام إلى نظام على أيدي الشعب يخلق حالة من التخبط وفراغ القوى power vacuum والتي يتم ملئها عادة بشكل سريع بقوى جديدة أو قديمة أو "جديدة ـ قديمة" أي قديمة في ثوب جديد وهو ما يشكل خطورة كبيرة على عملية التغيير نفسها وهنا تكمن أهمية التوافق كمسئولية وطنية على كل الأطراف واللاعبين السياسيين وعلى الطرف الأقوى بالتأكيد لأن له القدرة على التأثير على الأمور وتحفيز عملية التوافق. في هذه الورقة سيتم مناقشة ما هو التوافق وصوره وآلياته المختلفة، وطرح مقاربة بين بعض تجارب دول شرق أوروبا بالإضافة إلى آليات التوافق المتاحة وما يناسب الحالة المصرية منها، وأخيرا تقييم للحالة مع اقتراحات عن إمكانية استعمال آلية التوافق.

التوافق:

من المثير للاهتمام أن المعنى اللغوي لكلمة "التوافق" يحمل الكثير من الإسقاطات السياسية والاجتماعية أيضا: بحسب قاموس ميريام ويبستر هو الاتفاق العام (بمعني التعميم: الذي يشمل الجميع بالحد الأدنى من الاتفاق وليس بالضرورة يقتنع به الجميع اقتناعا كاملا)، أيضا كلمة "توافق" تعني تضامن المجموعة ومن أصل الكلمة في اللغة اللاتينية تعني "نشعر معا" feel together ويعني المصطلح أيضا إن التوافق هو اتخاذ قرار والعملية المؤدية إلى اتخاذ القرار مما يعني أن التوافق هو "عملية" process وليس لحظة جامدة مؤقتة ولكنها منظومة معقدة تشمل:

- المشكلة قيد التفاوض.
- الأطراف ذات الصلة.
- المطالب المطروحة على الطاولة.
- إدارة التفاوض.
- الظرف الزمني.
- الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة.
- الضغوط والمصالح وغيرها.
- ومن ثم النتائج التي يصل اليها المشاركون.

التوافق في الأطر السياسية:

التوافق هو[١] العمل على أن كل الأطراف تحقق ما تحتاج وليس ما تريد. بمعنى أخر فإن أي فصيل سياسي يشترك في عملية توافق سياسي لديه احتياجات أساسية ربما يمكن أن تسمى أيضا مطالب الحد الأدنى، ولديه أيضا رغبات وتطلعات ـ ربما ـ يريد أن يفرضها علي الآخرين أو يحققها بدون الالتفات إلى مطالب الفصائل السياسية الأخرى. ويعرف التوافق أيضا أنه الطريقة التي يقوم فيها الطرف الأقوى[٢] (ربما الحزب الحاكم أو السلطة الأعلى: من سلطة عسكرية، قضائية، برلمانية) بتجميع الأطراف السياسية المختلفة والمشتركة في خلاف أو موضوع ما ويدعوهم إلى طرح أفكارهم على الطاولة بحرية ومشاركة وتمثيل مناسب وأن يتوصلوا سويا إلى اتفاق يرضي احتياجاتهم ويغطي الحد الأدنى من مطالب تلك الأطراف.

التوافق في حالة دول شرق أوروبا - نبذه من المجر وبولندا

خلفية:

للتعمق أكثر في مسألة صناعة التوافق السياسي وآلياته يجب النظر إلى التجارب الفعلية والعملية التي تمت حول العالم ومن أمثلة ذلك تجارب دول شرق أوروبا مثل المجر وبولندا والذي تم من خلال آلية مناقشات أو مفاوضات الطاولة المستديرة **Round Tables** وهي من أكثر الآليات المعروفة في عالم السياسة والمفاوضات السرية أو المعلنة. وفي حالة دول شرق أوروبا - مع اختلافات طفيفة- تمت بشكل معلن وفي ظرف زمني حساس بحكم أن التجربتين البولندية والمجرية تمتا في أجواء تفكك الاتحاد السوفيتي السابق وفي ظل حراك اجتماعي وسياسي كبير وأحوال اقتصادية ضاغطة على نموذج الحكم الشيوعي في البلدين مع التأكيد مرة أخرى على وجود اختلافات في الحالتين عن بعضهما البعض.

من الجدير بالذكر أن المجر[٣] على سبيل المثال تمتعت بمستوى أعلى من الحريات ومستوى أقل من سيطرة القبضة الحديدية للشيوعية في المعسكر الشرقي. كان يشار إلى المجر على أنها أفضل بلد يمكن العيش فيها في منطقة شرق أوروبا الشيوعية من حيث مستوى المعيشة، توافر السلع، حرية الحركة وهذا طبعا بشكل نسبي ومقارنة بالدول الأخرى وليس بغرب أوروبا على سبيل المثال. ومن ناحية أخرى أختلف الوضع في بولندا قليلا حيث كان الجيش السوفيتي متمركزا داخل الأراضي البولندية وللسلطة في موسكو وللحزب الشيوعي تأثيرا كبيرا على السياسة والاقتصاد والثقافة في بولندا، ومن ناحية أخرى اعتبرت المجر وبولندا من الدول التي تمتعت بهامش من الحريات يزيد قليلا عن باقي دول شرق أوروبا.

---

(1) Hartnett, T. (2011). Consensus-Oriented Decision Making. Gabriola Island, BC, Canada:New Society Publishers.

(2)http://wiki.answers.com/Q/What_is_meant_by_the_term_politics_of_consensus#ixzz1re2uG5Uj

(٣) من مقابلات الباحث مع عدد من قادة الأحزاب والأكاديميين المجرين والبولنديين في زيارة بحثية لبودابست ووارسو يناير ٢٠١٢

المجر (كمثال):

نشأت التجربتان بشكل تدريجي مبني علي حراك من جانب النخب السياسية والمجتمعية ففي حالة المجر مثلا بدأت عملية التفاوض في الموائد المستديرة مارس ـ سبتمبر ١٩٨٩ بين القوى السياسية المعارضة وبين النظام القديم والذي كان يمثله الحزب الشيوعي وشاركت في العملية مؤسسات مجتمع مدني واتحاد العمال بهدف التأثير على العملية السياسية في المجر ومناقشة التشارك في السلطة وعملية التحول الديمقراطي، فلم يتم إقصاء لأي طرف الا من رفض المشاركة في العملية السياسية من الأساس لأسباب منها رفض التفاوض مع السلطة القديمة (الحزب الشيوعي) ومن ثم اشترك في المفاوضات ٧ أحزاب سياسية ممن يرغبوا في خوض الانتخابات

ومن شروط تفاوض المائدة/الطاولة المستديرة هو أن يكون عدد المشاركين محدودا وقليلا لتسهيل إمكانية التوصل إلى اتفاق. فيما عدا اتحادات العمال فإن كل طرف تمتع بحق النقض/الفيتو وكان على جدول الأعمال ٦ موضوعات اقتصادية و٦ سياسية. وبالنظر إلى الموضوعات السياسية تحديدا فقد كانت:

- الانتخابات.
- الإعلام.
- الحق في تأسيس منظمات.
- الحق في التظاهر.
- ضمانات قبول نتائج الانتخابات أيا كانت.
- عدم استعمال العنف ضد الشعب أو في حال عدم الفوز في الانتخابات.

كان جدول الأعمال محددا في أهداف أساسية وعلي رأسها:

- اجراء انتخابات وأن يقرر البرلمان المنتخب ما يراه لمستقبل البلاد.
- انتخاب رئيس للبلاد: تم الاتفاق على انتخاب رئيس ويكون له دور محدود بينما يترك للبرلمان الدور الأكبر ولكن لم يتم الاتفاق على انتخاب الرئيس قبل او بعد الانتخابات البرلمانية ومن داخل البرلمان أو بانتخابات عامة يشارك فيها الشعب.
- الدستور.
- إنشاء محكمة دستورية عليا.
- إنشاء الأحزاب السياسية وعملها.

أهم الموضوعات الشائكة خلال المفاوضات:

- نزع سلاح ميليشيات الحزب الشيوعي (ميليشيات العمال) .
- انتخاب الرئيس.
- سحب أعضاء الحزب من الجهاز الحكومي.
- إعادة ممتلكات الحزب للدولة مرة أخرى.

وانتهي الأمر بالاتفاق وانتقال سلمي للسلطة بالرغم من بعض المشكلات. وتمت الانتخابات في ١٩٩٠ وكانت أول انتخابات حرة في تاريخ المجر بعد الشيوعية، وتم انتخاب الرئيس وكان من النظام القديم مما كان جزءا من الحفاظ علي الدولة وتجنب التدخلات الخارجية من الاتحاد السوفيتي او ألمانيا الشرقية اللتان بالرغم قرب تفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط حائط برلين كانتا بالنسبة للمجر مصدر تهديد كبير.

من الدروس المستفادة في التجربة المجرية:

أن التفاوض يجب أن يتم مرة واحدة وللأبد once and for all وبسرعة حتى يقطع الطريق على التردد أو التعرض لضغوط جماهيرية راديكالية أو عودة سريعة للديكتاتورية كبديل لعدم قدرة المعارضة على الاتفاق. في الحالة المجرية لم تكن مفاوضات المائدة المستديرة مذاعة على أجهزة الإعلام لكي يتم قطع الطريق على أي محاولات للظهور من المشاركين ولمنع المتشددين منهم من اتخاذ مواقف راديكاليه بسبب معرفته أن جمهوره يشاهده.

الحالة المصرية (توصيف مختصر):

مفهوم التوافق والعمل الدءوب لتحقيقه موجود في عقلية المصريين خاصة الشباب منهم. ربما التجارب المصرية المختلفة من "حوار وطني" و"حوار مجتمعي" وحتى تكوين اللجنة الدستورية لصياغة الدستور لم تسفر عن امكانية قبول الأطياف لسياسة مختلفة لمفهوم التوافق بشكل عملي. ربما النخب السياسية من أكثر من يتحدث عن "أهمية التوافق" و"ضرورة التوافق" ولكن يبقي المفهوم في إطار الخطاب السياسي وليس التطبيق ويستعاض عنه أحيانا ربما بالتراشق بدلا من التوافق.

في المشهد المصري الحالي هناك تحديات حقيقية تواجه صانعي السياسة واللاعبين الأساسيين فيها وتنسحب علي الوطن بالتأكيد، أبرزها التوافق على الدستور وهو أول الانشقاقات الحقيقية التي حدثت بعد الثورة بأسابيع قليلة، والانتقال السلمي للسلطة من نظام قديم إلى آخر جديد، وتقاسم السلطات فيما يحقق مصلحة الوطن وليس القوى السياسية، وعملية التصالح العادل مع الماضي ورد الحقوق وتصفية النفوس والانتقال إلى بناء الوطن. هذه بعض من كثير من التحديات الكبرى التي ربما يكون التوافق كمفهوم عام سبيل إلى التعامل معها وربما ليس بالضرورة حلها حلا كليا ولكن عن الحد الأدنى أتحدث.

مقاربة بين الدول الثلاثة: المجر – بولندا – مصر

الموضوع	المجر	بولندا	مصر	
			الواقع	مقترح
مفاوضات الطاولة المستديرة	حدثت كجزء أساسي من عملية التحول الديمقراطي من نظام شمولي شيوعي إلى نظام ديمقراطي في بدايته	حدثت كجزء أساسي من عملية التحول الديمقراطي من نظام شمولي شيوعي إلى نظام ديمقراطي في بدايته	لم تحدث بالشكل المتعارف عليه ولكن استبدلت بحوار وطني لم ينجح لعدم جديته وعدم جدية المشاركين فيه وإهمال قطاعات من اللاعبين الأساسيين وبسبب حب الظهور بدلا من تغليب المصلحة العليا	في اللحظة الراهنة يقترح بإقامة طاولة مستديرة يشارك فيها الأحزاب السياسية المسجلة ومؤسسات مجتمع مدني سياسية وحركات سياسية شاركت في الثورة بالإضافة إلى المجلس العسكري والقضاء والحكومة
إذاعة الجلسات	لم تذاع	أذيعت	أذيعت جلسات الحوار الوطني	لا يجب أن تذاع
شكل المفاوضات	طاولة واحدة وعدة موضوعات – عدد مشاركين محدود	عدة طاولات بعدة موضوعات ـ عدد مشاركين كبير ٣٠ ـ ٣٤ في كل طاولة تناقش موضوع محدد	نقاش يقترب من المحاضرات أو البرامج التليفزيونية الحوارية (بالإضافة إلى خلافات شديدة على من يحضر ومن لا يحضر)	طاولة واحدة ـ عدد مشاركين محدود ـ موضوعات أساسية
الموضوعات الأساسية	الانتخابات الإعلام الحق في تأسيس منظمات وأحزاب الحق في التظاهر ضمانات قبول نتائج الانتخابات أيا كانت عدم استعمال العنف ضد الشعب أو في حال عدم الفوز في الانتخابات	مجموعة عمل الإصلاح السياسي مجموعة عمل الاقتصاد والشئون الاجتماعية التعددية الحزبية والمؤسسية والاتحادات والنقابات	الديمقراطية وحقوق الإنسان التنمية البشرية والاجتماعية التنمية الاقتصادية والمالية الثقافة وحوار الأديان الإعلام وسياسة مصر بعد الثورة	الدستور قانون الانتخابات وقانون مباشرة الحقوق السياسية الهوية والثقافة حقوق الإنسان ومنظومة القوانين الحامية للحريات والحقوق سياسة مصر التعليمية سياسة مصر الاقتصادية إصلاح القضاء العدالة الانتقالية، المحاسبة والمصالحة وبناء الثقة المجتمعية

توصيات:

- التوافق هو قيمة حضارية وإنسانية قبل أن يكون آلية سياسية بمعني اشتماله على قيم قبول الأخر والجلوس معه على طاولة واحدة رغم الخلاف لمناقشة مستقبل وطن هو في حد ذاته قيمة مهمة يجب العمل على ترسيخها.
- ما يعيق التوافق في الحالة المصرية هو صراع المصالح الأيديولوجية المتشابك مع صراع المصالح المادية والنفوذ والتخلي عن مكتسبات سياسية ومالية وأمنية عميقة تشتبك بدورها مع آلية إقليمية ودولية عميقة، أيضا المصالح السياسية والمالية والأمنية المعقدة جدا.
- الحلول لن تأت من الخارج بالرغم من أن هناك دفع في هذا الاتجاه وهو ما ربما اسميه محاولات لبننة أو عرقنة الحالة المصرية في ضوء سياسة الاحتواء للثورات وهي إحدى السيناريوهات المحتملة في المنطقة.
- أكبر تحد هو فك أو محاولة فك التشابك العميق بين مفهوم "الخروج الآمن" للنظام القديم خاصة العسكر ومصالحهم ذاتها ومنها ـ وهو الأهم ـ الخلفية التاريخية أن كرسي الرئاسة من نصيب المؤسسة العسكرية منذ ١٩٥٢، وكيفية التوافق على فك الارتباط، وأخذ في الاعتبار مصالحهم ومخاوفهم في إطار مفاوضات توافقية، هو ربما أخطر وأصعب ما يواجه التوافق في مصر.
- القوى الأيديولوجية الإسلامية ربما تكون أسهل قليلا لإدماجها في عملية توافق مقارنة بالمؤسسة العسكرية ولكنها تظل من الصعوبة بمكان بحكم فكرة المرجعية والشورى والتخويف منهم وتخوفاتهم الداخلية من القمع الأمني ومن الأفكار المسبقة عن أن الإسلام في خطر وأنهم بمثابة الرابضين على الثغور فكل هذا يشكل صعوبة شديدة في القفز فوق حاجز المخاوف والكبرياء إلى طاولات التفاوض المتساوية الأوزان السياسية وهذا أيضا صحيح في حالة المؤسسة العسكرية.
- الوقت عامل مهم جدا، كل يوم يمر بعد الثورة لا يحدث فيه توافق يبعد الهوة بين الأطياف السياسية ويصعب من إمكانية جلوسهم سويا.
- التجارب الأخرى للدول هي بمثابة دليل لنا، ولكنها تظل تجربتهم الخاصة، ويجب الموازنة الشديدة والمتعقلة بين الانفتاح والتعلم من التجارب بدون تخوين أو تعالي، وعدم السقوط في فخ النسخ والاستنساخ العقيم، هناك دائما مصريون يعرفون عمل هذا التوازن ولكنهم لا يسمح لهم كثيرا بأداء هذا الدور في خضم الضوضاء والتراشق بدل من التوافق.
- المجتمع السياسي المصري يحتاج منظومة قيم حضارية تسهل عليه العمل التوافقي بدلا من الصدامي وهذا ربما يأتي مع الوقت ولكن الخطر والتحدي هو الانغلاق الشديد حتى في الحالات التي يبدو فيها السياسيون منفتحين ويقابلون جميع الأطياف، وينفتحون على تجارب الغير من الدول التي سبقتنا إلى الديمقراطية فإنهم يفعلون ذلك على السطح وليس في عمق وعيهم السياسي والعملي.
- وأخيرا التوافق هو حل أساسي ووحيد ربما للخروج من صراع المصالح الفئوية إلى صراع بناء الوطن.

إصدارات "منتدى البدائل العربي للدراسات" لعام ٢٠١٢

١.	الشفافية والمرحلة الانتقالية في مصر (إشكاليات وتحديات) – (كتاب: الشفافية، المعايير الدولية والحالة المصرية)	محمد العجاتي – خلود خالد – عمر سمير
٢.	نحو حكومات منفتحة وتتسم بالشفافية.. خبرات دولية وأفضل الممارسات – (كتاب: الشفافية، المعايير الدولية والحالة المصرية)	أندرو بودفات – ريبيكا زاسمر
٣.	توصيات للحالة المصرية.. تجارب النجاح وتجارب التعثر في دول أوروبا الشرقية (نموذجا بولندا وأوكرانيا)	نادين عبد الله
٤.	السلفيون الجدد في التيارات السياسية المختلفة حالة عقيدية أم فكرية أم سياسية؟	عمر سمير خلف
٥.	الدساتير وعمليات التحول الديمقراطي	بيل كيسان
٦.	الدستور المصري بين حوارات المنهج والمضمون	محمد العجاتي
٧.	مساعدو البرلمانيين.. كيف يعملون؟ (النموذج الأمريكي)	نورا عريقات
٨.	التحول الديمقراطي في مصر بين تحديي عسكرة السياسة وتسييس الجيش	جورج ثروت فهمي
٩.	علاقات الإنتاج والحقوق الاقتصادية- الاجتماعية والحريات النقابية	أحمد السيد النجار
١٠.	التنوع وإدارته ومكافحة التمييز في الدستور	كريم سرحان
١١.	الجيش والدستور في مصر (المعادلة الحالية)	توفيق أكليموندوس
١٢.	الجيوش في الدساتير (دراسة للنموذج الجزائري والباكستاني والتركي)	فيرجيني كولومبيه
١٣.	الدساتير والأقليات الدينية (حماية حقوق الأقليات الدينية)	كاتيا باباجياني
١٤.	المحليات في الدستور المصري.. إشكاليات المركزية ومقترحات للتطوير	حبيبة محسن . رانيا زاده
١٥.	المرأة والدستور في مصر	فاطمة خفاجي . صفاء مراد
١٦.	إتاحة وحرية تداول المعلومات والحماية الدستورية المنقوصة.. حرية الرأي والتعبير وتعزيز الشفافية ومكافحة الفساد نموذجًا	عماد مبارك
١٧.	حرية تداول المعلومات: ضرورة لتحديث الدولة المصرية	ماجد عثمان
١٨.	نظام الإدارة المحلية.. أكثر من خمسين عاما تكفي للتحول الحقيقي نحو اللامركزية	محمود عبد الفتاح
١٩.	الجيش في الدساتير المصرية	عصام شيحة
٢٠.	من الديمقراطية التمثيلية إلى الديمقراطية التشاركية (نماذج وتوصيات)	محمد العجاتي . كلوفيس هنريك دي سوزا . نوران أحمد
٢١.	النظام المختلط (شبه الرئاسي) المفهوم والحالة المصرية	رانيا زاده
٢٢.	الحركات الانفصالية والربيع العربي (نموذجا ليبيا واليمن)	رانيا زاده . نوران أحمد
٢٣.	الإدارة المحلية في مصر إشكاليات التنظيم والعمل	حبيبة محسن . رانيا زاده
٢٤.	إصلاح العلاقات المدنية – العسكرية	باسم فتحي
٢٥.	إصلاح جهاز الشرطة كيف ولماذا؟	رابحة سيف علام
٢٦.	القوانين المتعلقة بالعزل السياسي والعدالة الانتقالية	زياد عبد التواب
٢٧.	كيف نصلح الشرطة المصرية من وحي التجارب الدولية؟	رابحة سيف علام